الحرب العالمية الاولى والمنافع المزدوجة

ساءت العلاقات العربيةالتركية قبيل الحرب العالمية، بسبب سياسة التتريك، وفرض مركزية النظام، وتملك اليهود الاراضي، ومحاباة السلطة لهم. واصبح الشعور العربي العام يتجه نحو الثورة على الاتراك والتخلص من حكمهم.

وعندما دخلت تركيا الحرب الى جانب المانيا، اتجهت بريطانيا الى استغلال الشعور العربي المعادي للاتراك بغية التحالف مع العرب، ونتج عن ذلك ما عرف باتفاقية حسين ـ مكماهون القاضية بالتحالف العربي ـ البريطاني ضد الاتراك، على ان ينال العرب استقلالهم لقاء ثورتهم على الاتراك.

ويتضح من اتفاقية حسين ـ مكماهون «ان حدود دولة الاستقلال العربي التي طالب بها الشريف حسين هي حدود بروتوكول دمشق نفسها، وان الانكليز التزموا بالاعتراف بها ولم يتحفظوا الا بالنسبة الى المناطق الواقعة غرب دمشق وحلب وحمص وحماة، وذلك بسبب اطماع فرنسا في لبنان»[٣٩]. كذلك تحفظوا بشأن فلسطين، وان يكن الشريف حسين رفض هذا التحفظ.

وسرعان ما بدأ الخداع البريطاني للعرب، وذلك بعقد الاتفاقيات السرية مع حلفاء بريطانيا، من وراء ظهر حليفهم حسين بن علي، شريف مكة، فابرمت اتفاقية سايكس ـ بيكو التي قضت باقتسام بلاد الهلال الخصيب بين فرنسا وبريطانيا، وبأن تكون فلسطين تحت ادارة دولية. وهذه الاتفاقية تتناقض مع اتفاقية حسين ـ مكماهون.

وعلى الرغم من تسرب مضمون اتفاقية سايكس ـ بيكو الى العلن، بعد قيام الثورة البلشفية العام ١٩١٧، ونشر تروتسكي لهذه الاتفاقية، فقد استمر شريف مكة الى جانب البريطانيين، ولم يغير موقفه. وتشير بعض الوثائق الى علمه بها وسكوته عنها قبل ان ينشرها السوفيات[٤٠]. ويمكن قبول مقولة مارك سايكس التي ذهب فيها الى حد القول ان اتفاقية سايكس ـ بيكو كانت صهيونية المنشأ[٤١]. فهي، في الواقع، عزلت فلسطين عن محيطها الطبيعي، ليسهل على بريطانيا تهويدها. هذا الامر دفع الحركة الوطنية الفلسطينية، باستمرار، الى رفض هذا العزل الذي يحقق، في حال قيامه، تطلعات بريطانيا واهداف الحركة الصهيونية.

لقد ادركت بريطانيا، بحسها الاستعماري، ان هناك ثلاث قوى في المشرق العربي، هي الحركة العربية والمطامع الفرنسية والحركة الصهيونية، وكان على بريطانيا ان تدخل في سلسلة اتفاقات، او معاهدات، او تعهدات، تضمن لها مصالحها في النهاية، ولا تتعارض احداها مع الاخرى. ومن هنا، كانت مراسلات حسين ـ مكماهون (١٩١٥ ـ ١٩١٦)، واتفاقية سايكس ـ بيكو (١٩١٦) وتصريح بلفور (١٩١٧)[٤٢].

لقد سارت حكومة صاحب الجلالة، خلال الحرب، بخطوات حثيثة لتحقيق مطامع امبريالية قديمة. فمن اتفاقية حسين ـ مكماهون، الى ركوب موجة الكره العربي لتركيا واستثمارها، الى اتفاقية سايكس ـ بيكو المناقضة للاتفاقية السابقة، الى وعد بلفور وهو الخدعة الثانية للعرب التي نتج عنها تحقيق احلام بريطانيا القديمة، والتي تعود الى ما قبل منتصف القرن الماضي.

وقبل الدخول في تفاصيل هذا الوعد، وتبيان بواعثه ونتائجه والتركيز على ازدواجيته، لا بد من الاشارة الى الخدعة الثالثة وما تبعها من احداث بالغة الخطورة كانت محطات امبريالية اوصلت هذه المنطقة من العالم الى الحالة النفسية التي لا تزال تعيشها حتى الآن.